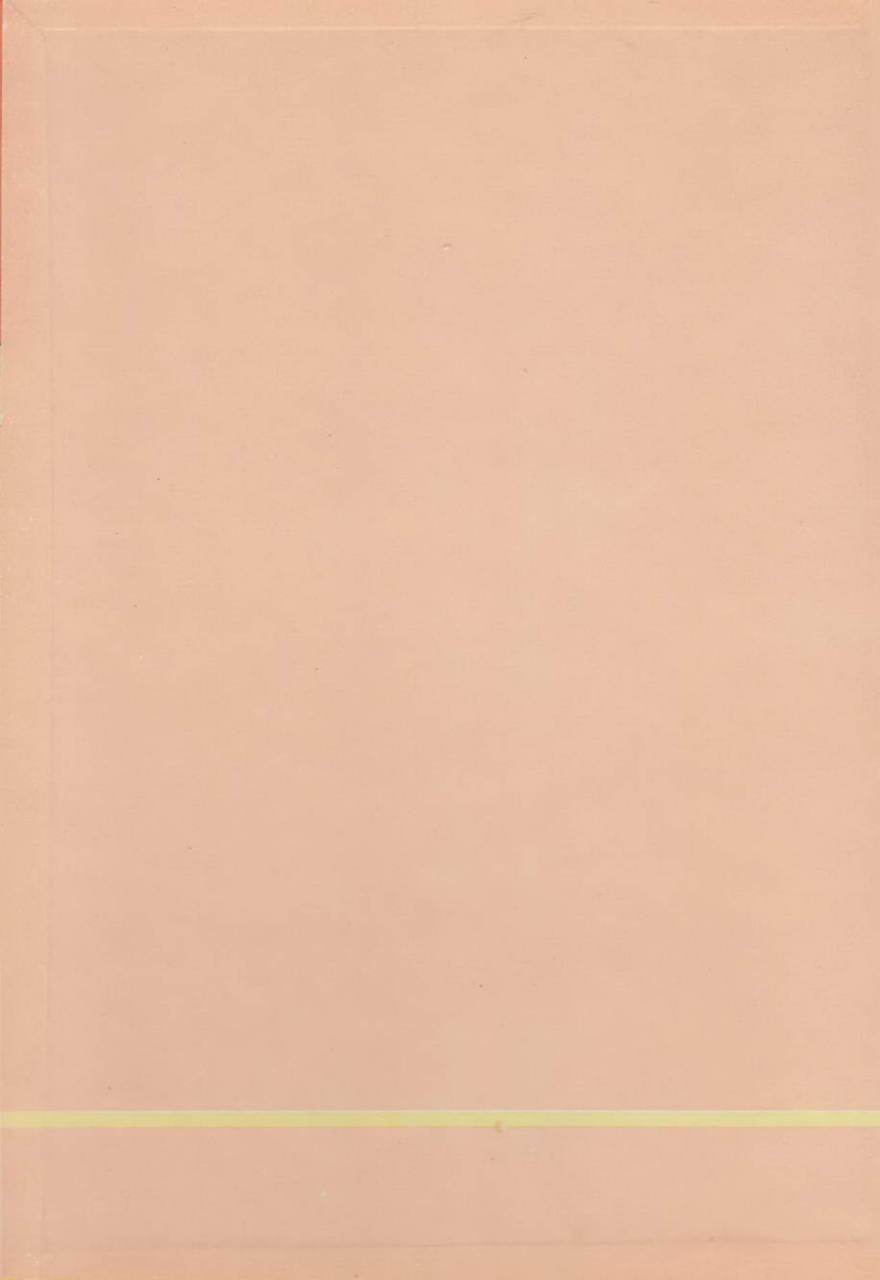


تَلُّ أَعْفَرْ

مكتبة الطفل . مكتبة الطفل . مكتبة الطفل . مكتبة الطفل ١٣ السلسلة التاريخية





مكتبة الطفل
دائرة ثقافة الاطفال
وزارة الثقافة والاعلام
الجمهورية العراقية

السلسلة التاريخية

١٣

تَلُّ أَعْفَرْ



تأليف : شريف الراس
رسوم : طالب مكي



لَبِسَ رجالُ مدينتنا ثِيابَ الأعياد ، ورَكبوا خيُولَهم العربيةَ الجميلة ، وذَهبوا الى الحرب .

قُلْتُ : خُذوني معكم .

قالوا : ذلكَ صَعْبٌ ، فأنتَ ما تزَالُ طِفْلاً صغيراً ، والطريقُ طَويلةٌ ومُتعبةٌ جداً . .

رَكَضْتُ خَلْفَ مَوكِبِهِمْ وأنا أقولُ بإلحاح : خُذوني مَعَكم ، فأنا سَوفَ أحتملُ متَاعب السفرِ في البادية . . أحْتملُ الغُبارَ والشَّمسَ والعَطَشَ والجُوعَ . . أريدُ أن أرى الحرب وأنتم تقاتلون عدوَّنا حتى تطردوه من أرضِنا .

كانوا رائعين وكانَ عَدَدُهُمْ كبيراً . مِئاتٍ من الفُرسان . . وكُلُّ فارِسٍ يَرْتَدي أجْمَلَ الثِّياب البدَوَيَّةِ ، ويَحْملُ بُنْدقيةً أو سيْفاً . وهناك من يحملون رماحاً وخناجرَ أيضاً . . وأكثرُهم مُتَحَزِّمٌ بحزامٍ جلديٍ عريضٍ فيه طلقات كثيرةٌ سوف يُلْقِمُ بها بُندقيته أو مسدسه عندما تَحْتَدِمُ المعركة . . لكن أين سَتَحتَدِمُ تلكَ المعركة العظيمة ؟

قالوا : هناك في بلدةٍ بعيدةٍ اسمُها «تل أعفر» . . وهي قُربَ مدينةِ الموصلِ .

ما أبعَدَ المسافةَ بينَ مدينتنا دَيْرِ الزور التي على نهر الفُرات وبين بلدةِ تل أعفر القريبةِ من الموصلِ على نهرِ دِجْلة . . وكم يوماً سيَظَلُّ هؤلاء الفرسانُ يَمشونَ في الباديةِ تَحْتَ شَمسِ الصَّيْفِ المُحرقَة ! . . ما أجملَ موكبَهم وهم يَهزجون «الله أكبر طابَ الموت» . . . وفيهم رجالٌ من سوريا وفلسطيْن ولُبنان والحجاز واليَمن . . وفيهم رجالٌ كثيرون من مدينتنا دَيرِ الزور ورجالٌ من العراق . . وفي مقدّمة موكبِ الفُرسان الشُّجعان تُرَفْرِفُ رايتُهم الجميلة . . وهي عَلَمُ الوَحدة العَربيَّة بذاته لكنَّهم نَقَشوا عليه بخُيُوط برّاقة : «الموتُ أو استقلالُ العِراق» . .

قلتُ لهم ، وقد تَعِبْتُ من الركْض خَلْفَهم : خُذوني مَعَكم أرجوكم ، أريدُ أن أرى حربَكُم .

فارْتدَّ نَحْوي فارسٌ وقال لي مُبتَسماً : إذا وَعَدْتني بأن تَرْجعَ الى أمّكَ ، أيُّها الفتى الشجاعُ ، فإنني أعِدُكَ بأنْ أخبركَ عند عَودَتِنا عن كُلِّ شيءٍ جَرى في هذه الحَرْبْ . . سَوف أكتبُ الحَوادثَ التي تَجري معنا يوماً بيوم . . فتَقْرأها وتعرف كُلَّ شيءْ . . صَحِبَتْكَ السلامةُ أيُّها الفتى الشجاع . .



قلتُ : صَحبتْكَ السَّلامةُ يا عَمّ . .

ولوّحتُ بيدي للموكبِ العظيمِ الذي ما لبثَ أن غابَ بعيداً وَسْطَ البادية . وكانت الخُيولُ تثير غباراً كثيراً . .

حدث ذلك في صباح يوم ٢٣ مايس ١٩٢٠ .

وفي مساء ذلك اليوم كان بعضُ الرِّجالِ من أَهْلِ حَيِّنا ، الذين لم يَذْهَبوا إلى الحربِ ، يَسْهَرون في مضافة «شيخ الحارة» أي المختار . . وكانوا يضحكون مسرورين . .

قال أبو جاسم صَيّادُ السَمَك وهو يَضْحَك : لقد استطاعَ مجاهدونا أن يَخْدَعوا جواسيسَ العدو . . فقد استأجَروا زَوارِقَ نهريةً كثيرة ، وأَشاعوا أخباراً بأنهم سوف يركبونَها ليغادِروا بها ديرَ الزور نحو الجَنوب ، مع مجرى التيار في نهر الفرات . . . ثم . . رأيتم ما فَعَلوه اليومَ . فقد سافروا باتّجاه الشِّمالِ بدلاً من الجنوب . . وسافَروا على خُيولِهم بَدَلاً من الزَّوارِقِ النَّهْرِيَّة .

فقال العَمُّ أبو وطفة البستاني مُصَحِّحاً : لكنَّ بينهم مجاهدين سافروا مُشاةً . . لأنهم مِثْلُنا فقراءُ ولا خُيولَ عندهم . . كما أنني رأيتُ مع الموكب عشرين عَرَبَةَ نَقْلٍ تَجرُّها البغالُ . وفي كل عَرَبةٍ يَرْكَبُ ثمانيةُ مجاهدين . . فلنرفع أيدينا إلى اللهِ مُبتَهلين أن يؤيّدَهم بنصره . . . أنا شخصيّاً لستُ خائفاً عليهم إلاّ من شيءٍ واحد : هو العَطَش . . فالشّمسُ في هذه الأيامِ حارَّةٌ ، والباديةُ الفسيحةُ التي سوف يَجْتازونها ليس فيها نَبْعُ ماءٍ واحد . .





فسأله شيخُ حارتنا : وما الدّاعي لهذا التَعَب ؟ ! السوق مليءٌ بأوعية الماء الممتازة .

فقال أبو شعلان : لكنَّهم لو اشتروا المطرات من السوق ، بهذه الكمية الكبيرة ، فقد يَتَنَبَّه لذلك جواسيسُ العَدُوّ ، ويعرفون أن جماعَتَنا يتهيأون لهذه الحملة العظيمة . . ونحن أردناها مفاجأة . .

فازدادَ سرورُ الساهرين بسماع هذه الأخبار ، وعَبَّروا عن أملهم الكبير بأن تَصِلَنا بعد أيام «أخبارٌ عظيمة» . .

وأنا كان أملي كبيراً بأن تَصِلَني الأوراق التي وعدني بها ذلك المجاهدُ الشاب . تُرى هل انتصَرَ مجاهدونا ؟ . . هل كانت معركةُ القتالِ قاسيةً ؟ . . ماذا حدث في تلك الحرب يوماً بيوم ؟ . . .

لنقرأ الأوراق . .

يوم ٢٦ مايس ١٩٢٠

وصلنا إلى مُنْتَصَفِ الطريق تقريباً .

كان الطريق طويلاً ، وكانت شمسُ البادِيَةِ قاسيةً علينا . . ولكننا كنّا ، كلما مَشَيْنا أكثر ، يزدادُ عَدَدُنا . . إذ إنَّنا ما مررنا على خيامِ عشيرةٍ بَدَوِيَّةٍ في الطريق إلاّ انضَمَّ إلينا عددٌ جديد من المقاتلين . . بعضُهم فرسانٌ وبعضهم مُشاة . . والموكب يكبرُ وَيزداد ، وفي المقدّمة ترفرفُ رايةُ الوحدة العربية المُطَرَزةُ بعبارة : الموتُ أو استقلالُ العراق .

قال عبد الحميد الدبوني : يا قومُ . . لقد أصبح عَدَدُنا كبيراً الى حَدٍّ ينبغي معه أن نَنْتَظِمَ في أربعةِ أَلْوِيَة . . فالنظام أساسُ النصر في المعارك الحربية . . بل إن النظامَ أساسُ النجاح في كل عمل . .

لاقى اقتراحُ عبد الحميد ثناءاً وموافقةً من شيوخ المجاهدين ، خصوصاً وأن هذا الرجلَ خبيرٌ في قضايا المعارك والحروب . فقد كان ضابطاً في الجيش العثماني . ولكنه ترك ذلك الجيشَ وانضمَّ الى صفوفِ الثُّوّار العرب . . وعندما وصلت قواتُ الاحتلال البريطاني الى العراق كان عبد الحميد موظفاً مدنياً في بلدة تل أعفر . فَصَعُبَ عليه أن يَعْمَلَ تحت إمْرة هؤلاء المستعمرين ، فسافر إلى دير الزور وانضمَّ إلى الحملة من بدايتها . . وكان يَشْرَحُ لنا أوضاعَ تل أعفر شَرْحاً وافياً على خرائطَ كان يَرْسُمها بِطَرَفِ عَصاهُ على رِمالِ البادِيَة . .

وهكذا انتَظَمْنا في أربعةِ أَلوية . . كُلُّ لواءٍ يقودُهُ مجاهدٌ مجرّب . . لواء سليم الجراح الموصلي ، ولواء فائق حسني ، ولواء محمد أديب البغدادي ، ولواء محمد علي الموصلي . .

ثم تابَعْنا المسيرَ في أراضي الجزيرة التي تقع بين نهر الفرات ونهر دجلة . .

وحين مررنا بمضارب عشائر شَمَّر انضَمَّ إلينا خلقٌ كثيرٌ من مقاتلي هذه العشائرِ العربية المشهورين بِشِدَّة البَأْسِ والثَّبات في معارك القتال . .





يوم ١ حزيران ١٩٢٠

وَصَلْنا إلى مَوْقِعٍ يُدْعى خنَيزيرة ، قُرْبَ جَبَلِ سَنْجار من جهة الشرق . فقال عبد الحميد : هنا نَحُطُّ الرِّحال . . فقد أصبَحْنا قريبين جدّاً من بلدة تل أعفر . . إذن ما رأيُكم أن نَتَوَقَّف هنا لنستريحَ ونتدارسَ خُطَّةَ الهجوم ، ونُعَبِّئَ قُوانا وننظِّمَ صفوفَنا ؟

قال المجاهدون : هذا نِعْمَ الرأي . .

فقال عبد الحميد : في مِثْلِ معركتنا هذه ، أي في حروب المقاومة ، من أهمّ عواملِ انتصارِ رجال المقاومة أن يكونوا على صِلَةٍ وثيقةٍ بالسُّكان . . أي أن يكونَ السُّكانُ معهم . . ولهذا أرى أن نُرْسِلَ وَفْداً سِرِّيّاً إلى أهالي بلدة أعفر ، فنشرح لهم غَرَضَنا الوطنيَّ من هذه الحملة الوطنية . . فنحن لا نريد أن نَحْتَلَّ البلدة وإنما نريد أن نحرِّرَها من المستعمرين الانكليز الذين يحكمونها بالقهر والإرهاب . .

قولوا لهم : أنتم أهلُنا وأخوانُنا ونحن جئنا من دير الزور متطوّعين حتى نخلِّصَكم من ظُلْمِ الميجربارلو . .

سألْناه : ومن هو هذا الميجر بارلو؟

قال : الميجر أو الرائد بارلو ضابطٌ بريطانيّ لئيمٌ مُتَعَجْرِفٌ ، يعامِلُ أَبْناءَ شَعبِنا مُعامَلَةَ العبيد . وقد اتَّخَذَ من قلعةِ تل أعفر مركزاً له . وملأَ القلعةَ بحشدٍ من جُنود الاستعمار الأجانب . . وفيهم ضُبّاطٌ أيضاً . أَشْهَرُهُم الكابتن ستيوارت الذي يضاهي بارلو في أعمال التنكيل بشعبنا وإذاقَتِهِ أَبْشَعَ أَلْوانِ الاضطهادِ والاحتقار . .



سألناه : وغير هذه القوّات الأجنبية ، ألا توجدُ في تل أعفر قواتٌ مَحلِّيّة ؟

قال : بَلى . . هناك قُوّةٌ من رجالِ الدرَكِ المَحلِّيّين تَضُمُّ حَوالَيْ سبعينَ دَرَكِيّاً . . . وهؤلاءِ وطنيّون مِثْلنا ، فهم من أبناء شعبِنا . . لذلك فمن المُهِمِّ أن يَتَّصِلَ بَهم الوَفْدُ ويفاتِحَهم بضرورة الانضمام الينا . .

فقال قادة الألوية الأربعة : يا عبد الحميد . . لكي ينجحَ هذا الوفدُ في مهمته يجب أن يكونَ برئاستِكَ أنت . . فليس بَيْنَنا من هو أفضلُ منك لهذه المهمَّة الوطنية الجليلة . . وها إن الرجالَ أمامَك وتحتَ تصرُّفك ، فاخْتَرْ مِن بينهم مَن تريدُ لعضويّة الوفد . .

فقال العمّ عبدُ الحميد وهو يشيرُ إليَّ : يكفيني هذا الشاب . .

فَفَرِحْتُ بذلك كثيراً رَغْمَ علمي بالمَخاطر التي سوف نتعرَّضُ لها . . إذ ماذا يَحْدُثُ لو وَقَعْنا في أيدي عَساكرِ العدوّ ، أثناءَ تَنَقُّلِنا داخلَ البلدة ؟ . . خُصوصاً وأن العمَّ عبد الحميد مغضوبٌ عليه من قِبَلِهِمْ غَضَباً شديداً لأنَّه تَرَكَ الوظيفةَ وتَخَلّى عنهم وانضَمَّ الى صُفوف الثُّوّار ؟



يوم ٢ حزيران ١٩٢٠

وصلنا إلى تل أعفر أنا والعم عبد الحميد . كان يَرْتَدي ثيابَ تاجرٍ مَوْصلي ، وكنتُ أَرْتَدي ثيابَ بَدَويٍّ فقير . وأَوَّلُ ما لَفَتَ نظري في هذه البلدةِ الجميلة بساتينُها التي تَغَلْغَلْنا تحت أشجارِها دون أن يَرانا أَحَدٌ . ثم وَصَلْنا إلى نَبعِ ماءٍ مَنْظَرُهُ أَبْهَجَ قَلْبي . ومن الساحة المُحيطة بالنَّبْعِ تَتَوَزَّعُ الدُّروبُ التي تُشكِّلُ شوارعَ البلدة ، وهي بالأحرى أَزِقَّةٌ ضَيِّقة ، والجُدْرانُ من الصَّخْرِ المنحوت . والبُيوتُ كُلُّها مَبْنِيَّة من الأحجار . والقَلْعَةُ كذلك . . وهي قلعةٌ عاليةٌ وحَصينةٌ يُمْكِنُ لمن يَحْتَلُّها أن يُسَيْطِرَ على البلدةِ كُلِّها . . وكنتُ أرى الجنودَ الأجانبَ يَمْشون هناك فوق أَسْوارِ القَلْعة . .

زُرْنا عدداً من البُيوت ، فكان الأهالي يقابلونَنا بالحفاوة والترحيب والفَرَح العظيم . . وعندما اتَّصَلْنا بجميل الخليل قائدِ الدَرَك في القلعة أعلن استعدادَه للانضمام إلينا . . ثم طَلَبَ منّا أن نَنْتَظِرَهُ حيثُ نحن ، وغابَ عنا حَوالَيْ نِصْفِ ساعة ثُمَّ عادَ إلينا وقال : «هَيّا بنا . . أنا ذاهبٌ معكم في الحال» .

سَأَلَهُ العَمُّ عبدُ الحميد : لَيْتَني أَعْرِفُ أين كنت ؟

أجابَهُ قائدُ الدرَكِ الظَّريفُ : ستَعرِفُ كُلَّ شيءٍ في حينه . . هيّا بنا قَبْلَ أن يَحُلَّ الظلام .

وهكذا جِئْنا اثنينِ وعُدنا ثَلاثة . . وكانت عَوْدَتُنا في الليل .



وفي الطريق سَمِعْنا أصواتَ طَلَقاتٍ ناريَّة . . فقال جميل الخليل قائدُ الدَرَك : هذه منطقةُ خِيامِ سليمان آغا أحدِ وُجَهاءِ الرِّيف هنا . . تعالوا نَسْتَطْلِعِ الخَبَر . .

وَصَلْنا إلى خَيْمةِ سليمان آغا فوجدناه يَضْحَكُ . . ومن معه في الخَيْمة يَضْحَكون أيضاً ، وكان بينهم دركيّ . .

ما هي القِصَّةُ يا جَماعة ؟ !

قالوا : الميجر بارلو لا غيرَه . . يبدو أنه سَمِعَ بوجودِ ما أسماه «تَجَمُّعاً عَشائِريّاً» في هذه المنطقة ، فجاء إلينا ليستطلعَ الخبر ويتأكدَ بنفسه . . جاءنا قبل حَوالَيْ ساعةٍ ومعه هذا الدركي الطيِّب . . نَزَلَ عن فرسِهِ ورَبَطَها هناك ثم دَخَلَ هذه الخيمةَ وجلس . . لكن يبدو أنَّ نَظَراتِنا لم تُعْجِبْهُ ، فاضطربَ وارتاب . لكنه حَاوَلَ أن يُخْفي قَلَقَهُ واضطرابَه ، فقام وخَرَجَ بحُجَّةِ أنَّه يُريدُ أن يَفُكَّ السَّرْجَ عن ظَهْرِ فَرَسِهِ لتستريحَ . . لكنه ما أن صارَ خارج الخيمة حتى هَرَبَ راكِضاً يسابِق الرِّيحَ وهو خائفٌ مذعورٌ يُطْلِقُ الرَّصاصَ من بُنْدُقيَّتِهِ بشكلٍ عَشْوائيٍّ مُضْحك . .

– ألم تحاولوا اللَّحاقَ به ؟

– لَحِقَ به بعضُ الشباب . . ولكنه اختَفَى عن الأنظار . . فالدُّنْيا ليلٌ والميجر «الشجاع» ضاعَ بينَ الأخاديدِ والصُّخور . . . ذهب وترك لنا فَرَسَهُ وهذا الدَرَكيَّ الطَّيِّبَ الذي قَرَّرَ الانضمام إلى الثوار . .

فازداد سرورُنا وقلنا للدَّرَكيِّ : تعالَ معنا يا أخ . . كنّا ثلاثةً فأَصْبحنا أربعة . .



يوم ٣ حزيران ١٩٢٠ ، في الليل قبيل الفجر . .

كل المجاهدين في حالة تأَهُّبٍ لبَدْءِ المسير . . ففي الفجر سوف يَتمُّ الهجومُ الكبير . . والخُطَّةُ أصبحتْ واضحةً للجميع : علينا ان نَحْتَلَّ قَلْعَةَ تلّ أعفر . .

والقلعةُ واقعةٌ فوق هَضْبَةٍ عالية في وَسَطِ البلدة . . يُحيط بها وادٍ يَفْصِلُها عن مَباني البلدةِ من جَميع الجِهات . . وفي القلعةِ يُعَسْكِرُ أعداؤُنا جنودُ الاحتلال البريطاني ، برئاسةِ نَقيبٍ لئيم اسمُهُ الكابتن ستيوارت . . وفي القلعة أيضاً سبعون دَرَكِيّاً من أبناء المنطقة يَرْأَسُهم ضابطٌ شابٌّ من الموصل اسمه الملازم محمد علي النَّعَلْبَنْدي . .

شَرَحَ لنا جميلُ الخليل كُلَّ هذا ثم قال : هَيّا بنا . . فَلْنَبْدَأْ مسيرَتنا على بَرَكَةِ الله . .

يوم ٣ حزيران ١٩٢٠ ، وقت أذان الفجر .

وصلنا تل أعفر . . وانتشرَ المجاهدون الشجعانُ حَوْلَ القلعةِ وبَدَأْنا إطلاقَ النّار . . وما لَبِثَ البريطانيون المُحاصَرون في القلعةِ أن رَدّوا بإطلاقِ نيرانٍ كثيفة . . كانوا مُتَتَرِّسين خَلْفَ أسوارِ القلعة ، هناك في الأعالي ، وكانت رَشّاشاتُهم السريعةُ الطَّلَقاتِ تُمْطِرُنا بوابِلٍ من الرَّصاص . . واستمرّتِ المعركةُ لاهِبَةً مُدَوِّيَةً فَتْرةً ثُمَّ فوجِئْنا بالهُدوءِ يُخَيِّمُ عليهم . .

ماذا جَرى يا تُرى ؟

كنتُ قريباً من صَخْرةٍ يَحْتَمي خَلْفَها العمُّ عبدُ الحميد الدبوني وصديقُنا قائد الدرك جميل الخليل ، فرأينا دركياً شابّاً برتبةِ مُلازمٍ يُقْبِلُ نحونا مُبْتَسِماً سعيداً ، ثم يُؤَدّي التحيَّةَ العسكريةَ لجميل الخليل ويقول :

– تَمَّ تنفيذُ الأوامرِ ياسيِّدي . . لقد قَتَلْتُ بمسدسي هذا قائدَهُم الكابتن ستيوارت . . والسَّبْعون دركيّاً جاءوا معي وانْضَمّوا الى صُفوفِ الثُّوار . .

فقال العمُّ عبد الحميد : أنتَ نِعْمَ البَطَلُ .

كان هذا الملازمُ هو محمد علي النَّعلبندي . .

وسُرْعانَ ما انتشَرَ الخَبَرُ المُفْرِحُ بينَ صفوفِ الثّوّار . . فعَلَتْ هُتافاتُ الفَرَحِ : «اللهُ أكبرْ . . اللهُ أكبرْ» . . وبدأنا نسمعُ أصواتَ زغاريدِ النّساء من منازل البلدة . . ثم علا صوتُ طَلَقاتِ النار من رشّاشات العَدُوّ . . كانوا في حالة هياجٍ جُنوني . . وكانت الشمس قد أشرقت والدُّنْيا صارَتْ نَهاراً فأصبحنا في وضعٍ مكشوف تحت نيرانِهم الكثيفةِ المستمرّة . لكنَّ ذلك كُلَّه لم يَمْنَعْ ثُوّارَنا الشجعانَ من الوصولِ إلى القلعة . .

فقد كان في الجِهَةِ الشرقية مُنْعَطَفٌ ليس في مَجال رَمْيِ رشاشاتِ الأعداء . . من هناك تَسَلَّلَ عددٌ كبيرٌ من الثوار حتى وصلوا إلى بابِ القلعة فَحَطَّموه ودَخلوا . . ودارتْ خَلْفَ الباب



مَعْرَكَةٌ هائِلةٌ أَسْفَرَتْ عن انتصار ثُوّارِنا واحتلالِهم الطابقَ السُّفْليَّ من القلعة . . لكن بَقِيَ الطابقُ العُلْويُّ . . فمنه تأْتينا الوَيْلات . .

آنذاكَ وَثَبَ المجاهدُ صالحُ أحمد الخضَيّر مثل النَّمرِ ، وخِنْجَرُه في يدِه ، وصَعِدَ إلى السَّطحِ لِيَقْتُلَ البريطانيين الذين أهلكتنا نيرانُ رشّاشاتهم . . كان صالح أحمد الخضَيّر بَطلاً . . لكنه ما إنْ وَصَلَ إلى السَّطح ومَدَّ رَأْسَهُ حتى سَقَطَ قتيلاً . . واستمرَّت المعركة .

يوم ٣ حزيران ١٩٢٠ ، وقت الضحى . .

لم يَتَوَقَّفْ إطلاقُ النّارِ لحظة . وأُصيبَ منّا عددٌ من المجاهدين . لكنَّ أَعْجَبَ ما رأيتُه أَنَّ عَدَدَنا ، بَدَلاً من أن يَنقُصَ ، كان يَزْداد . . قلتُ : «من أين يأتي كُلُّ هؤلاءِ المتطوّعين الجدُدُ ؟» . . قالوا : «إنهم من أبناء المنطقة» . .

كانوا يأتون أَفْواجاً أفواجاً . . وكلما وَصَلَ فَوْجٌ من المجاهدين الجُدُد كانت ترتفعُ زغاريدُ النساء في البيوت ، ويزداد فَرَحُ الأطفال وحماستُهم . . حتى إنَّ طفلاً من أبناء البلدة أتى إليَّ ، وكنت مُتَتَرِّساً في زُقاق ضَيِّقٍ لا تَصِلُه النّيران ، وقال لي وهو يَبْتَسِمُ بفرحٍ عظيم : «خُذْ» . . وأعطاني خَمْسَ بيضاتٍ مسلوقة ، ثم قال : «عندي دجاجةٌ تبيض كثيراً» . . فضمَمْتُهُ إلى صدري بحَنان وَتَذَكَّرْتُ ذلك الطفلَ الذي لَحِقَ بنا مُوَدِّعاً عند مَشارفِ دَيْرِ الزَّور وهو يقول : «خذوني معكم . . خذوني معكم . . أريد أن أَتفَرَّجَ على الحرب» . .



الحربُ ياولدي فيها ضحايا كثيرون ، ودماءٌ ، ومآسٍ
وفَواجع . . ونحن كنّا في غِنىً عن كل هذه المآسي لو أَنَّ هؤلاءَ المحتلّين
الأجانبَ لم يَعْتَدوا علينا . . نحن ياولدي نريدُ أنْ نعيشَ في بلادِنا
آمنين سُعَداء أحراراً . نغنّي . نفرح . نزرع وروداً وأزاهير. نبني

مدارس للأطفال . . لكن أولئك المستعمرين الطامعين الظالمين جاءوا من بلادهم البعيدة ليحتلوا ديارَنا ويذلّوا شعبنا . . إذن فلنطردْهم . . وها إننا نقاتُلهم لنطردَهم . . وها إننا أصبحنا على خطواتٍ من النصر. ولم يبقَ أمامَنا إلا أن نُسْكِتَ تلك البنادقَ الرشاشة التي تَجَمَّعتْ في الطابق العلوي من القلعة . .

في تلك الساعةِ وَصَلَ فوجٌ جديدٌ من المتطوّعين. قالوا : إنهم حين سَمِعوا باستشهاد البطل صالح أحمد الخضير ماعادوا يُطيقون القُعود . . فحملوا بنادقَهم وأسلحتَهم الأخرى وجاءوا . ولكنهم عَثَروا في الطريق على «مجنونٍ أَهْوَج» يرتدي ثيابَ ضابطٍ بريطاني ، ومعه بندقيةٌ جديدة . فأمسكوا به وأخذوا بندقِيَّتَه وأركبوه فَرَساً وتابعوا مسيرتهم . . لكنْ فوجئوا بَعْدَ قليلٍ بقافلةِ سياراتٍ عسكريةٍ مُتَوَجِّهَةٍ نحوَ تل أعفر ، وطائرةٍ تُحَلِّق في الجَوّ . . فإذا بالمجنون الأهوج الذي اعتقلوه يَقْفِزُ من فوق فَرَسِهِ ويُلَوِّحُ للطائرة بكلتا يديهِ وهو يَصْرُخُ : «أنا الميجر بارلو . . أنقِذوني . . أنا الميجر بارلو» .

فصاحَ أحدُ الثوار : «يا لثارات صالح أحمد الخضير» وأطلق النارَ على هذا المجرم فأَرْداه قتيلاً . .

يوم ٣ حزيران ١٩٢٠ ، مع أذان الظهر.

قام أحد المجاهدين بعملٍ بُطوليّ خارِق . . فقد غامَرَ بحياته ، بشَجاعةٍ فائقة ، حتى وَصَلَ إلى سطح القلعة ، فقَذَفَ بقُنْبُلَةٍ يَدَوِيَّةٍ فوقَ جنودِ العَدُوّ المتجمّعين عند الرشاشات . . ثم قَذَفَهم بقُنبلةٍ





يدوية ثانية وهو يصيحُ : إلى جَهَنَّم أيها المستعمرون الظالمون . .

ثم إنه وقف فوق سور القلعة وهتفَ إلينا بفرحٍ عظيم : أرسلوا العَلَمَ . . هاتوا عَلَمَنا . .

لكننا فوجئنا بما شَغَلَنا عن دخول القلعة لرفعِ عَلَمِ النَّصر . . فقد وَصَلَتْ قافلةُ السيّاراتِ العسكريةِ التي كان رفاقُنا قد أخبرونا عنها قبلَ قليل . . فَعَلَتِ الصَّيْحةُ : الله أكبر . . الله أكبر . .

كانت القافلةُ مؤلّفةً من مُصَفَّحتَين ، وخمسِ سيارات من حاملات الجنود ، وسيارةٍ عاديّة . . وقد سارت هذه القافلةُ في أزقةِ البلدة متوجهةً نحوَ القلعة ، حتى وصلت إلى زُقاق ضَيِّقٍ فاضْطُرَّتْ الى التوقف إذ اعترضَها حاجزٌ من الحجارة كنّا قد أقمناه هناك . .

حاوَلَتِ السيارةُ الأخيرةُ أن تستديرَ لتعودَ هاربةً فلم تستطعْ ذلك . لأن الزُّقاقَ ضَيِّقٌ جداً . . وهكذا وَقَعت القافلةُ كلُّها في فخٍّ لا مثيلَ له . . ورُحْنا نُمْطِرُها بقذائفنا من كل جانب . . وكانت معركةً عظيمةً وصعبةً وقاسية . . وثوارنا الشجعانُ هجموا بخناجرهم وسيوفِهم فدارتْ معركةُ التحامٍ بالسِّلاحِ الأبيض . . حتى تمكَّنا من إعطاب السيارات جميعاً ، وابادةِ كُلٍّ من فيها ، ماعدا سيارةً مصفحةً واحدةً تمكّنتْ من الهَرَب فلاحَقَها فرسانُنا وأعطبوها وقتَلوا كل من فيها . .

وحين عادوا إلينا وهم يَهْزَجون أهازيجَ النَّصْر الجميلة ، تَطَلَّعَتْ عيونُهم إلى ساريةِ العَلَم فوق القلعةِ ، فَتَأَلَّقَتْ وجوهُهُم بفَرَحٍ

عظيم . . فقد كان عَلَمُنا يُرَفْرِفُ هناك فوق القلعة ، بعد أن أنزلنا العلمَ البريطاني وأحرقناه .

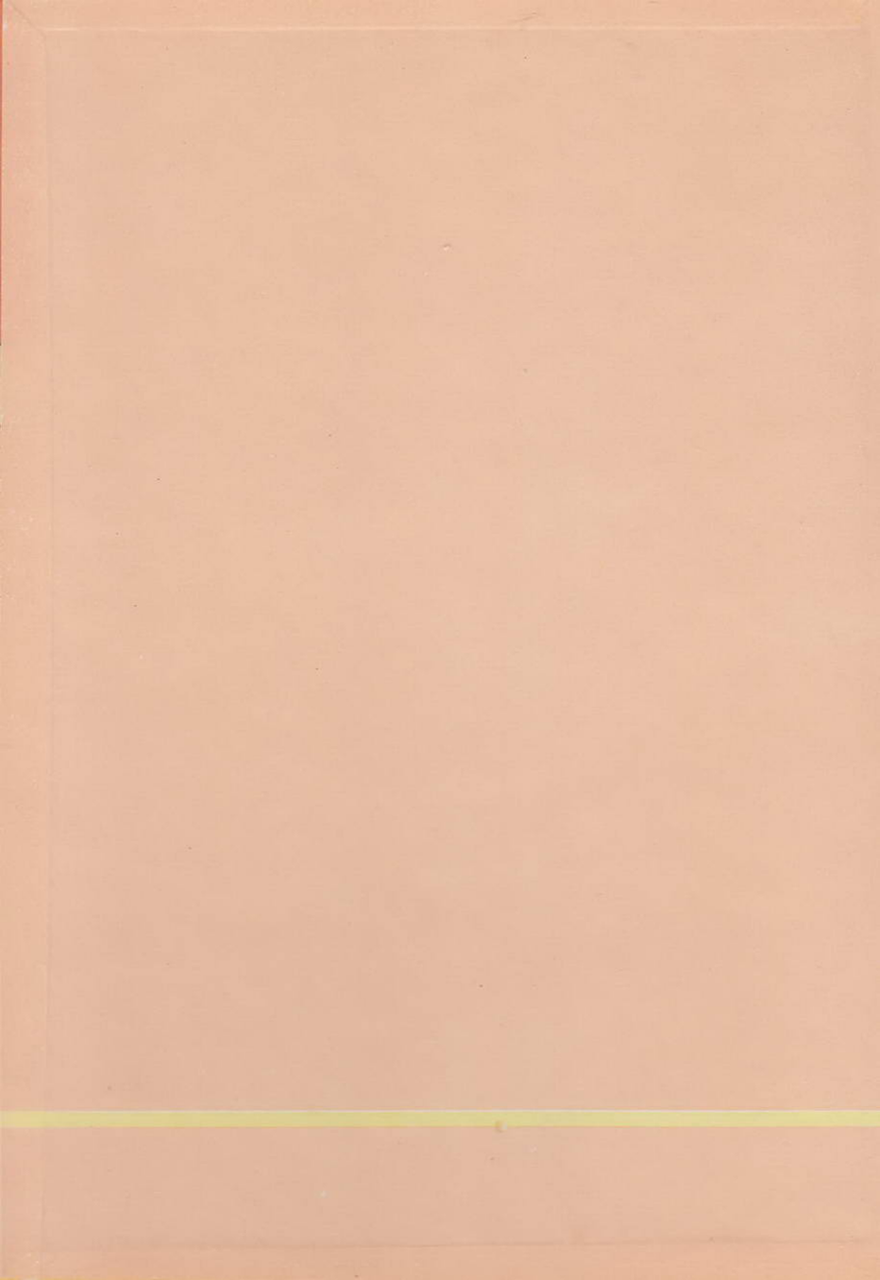
لقد كان علماً عربياً رائعاً مُطَرزاً بالوعد العظيم : الموت أو استقلال العراق . .

ما أجملَ حكاياتِ الانتصار . .









مكتبة الطفل . مكتبة الطفل . مكتبة الطفل . مكتبة الطفل . مكتبة الطفل . مكتبة الطفل

الجمهورية العراقية – وزارة الثقافة والاعلام – دائرة ثقافة الاطفال – مكتبة الطفل

الناشر : دائرة ثقافة الاطفال – ص . ب ١٤١٧٦ بغداد

ثمن النسخة داخل العراق ١٠٠ فلس عراقي
وخارج العراق ١٥٠ فلساً عراقياً أو ما يعادلها